# قصائد إشارية

خالد علي مصطفى

**١- قصة لا تنتهي**

أمامي تسري الخطيئةْ،
ورائي تسير الجراحُ البريئةْ،
وكلٌّ يشدُّ إليه الجَسَدْ.
وحين أقامرْ
بِفَكِّ اشتباك الدوائرْ
تَمدّ الخطيئةُ حبلَ مَسَدْ
يُطوِّقُ عنْقي،
وَيَرْتَدُّ خَلْفي
ليزرعَ تُفّاحَهْ في الجِراحِ البريئةْ!

**٢- القصيدة والعصا**

أراكَ، كلّما فرغتُ من قصيدةٍ،
تُطلُّ ثمّ تختفي كَطَلْقَةٍ
مُخَلِّفاً في السقفِ أخطبوطاً
وفي الكؤوسِ وَسْوَسَهْ.
... وأنتَ تدري أنني منذ الصِّبا
لم أستطعْ أن أبتني في شَفَتَيَّ مدرسَهْ،
وَأمنعَ النجوم أن تسوقني إلى الشَّفَقْ.

***

وكمْ أَردتُ أنْ أُعطِّرَ الهواءْ،
وأتّقي شرورَكَ المقدَّسهْ
بما تَبَقّى من شياطين الرؤى -
تجيءُ أنتَ، مرّةً أخرى، وتسرقُ القصيدهْ
مُخلِّفاً في السَّقْفِ أخطبوطاً،
وفي يدي جريدَهْ
أقرأُ فيها:
خَبَرَ العصا المدلاّةِ من السماءْ!

**٣- أين؟**

تقولُ شارةُ المرور: «من هنا الطريقْ!»
وترجعُ الأرضُ إلى الوراءْ.
تمرُّ شارةٌ جديدةٌ تقولُ: «من وراءِ ظهرك الطريق!»
وتُسرعُ الأرضُ إلى الأمامْ؛
وفجأةً تقفْ -
تلوحُ شارةٌ أخرى: «إلى يمينك الطريقْ!»
يحملني اليمينْ،
وتستقيمُ الأرضُ بعضَ حينْ.
أَسمعُ صرخةً مجهولةً: «إلى يَسارِكَ الطريق!»
يَحملني اليَسارْ
على حصانٍ من تَعَبْ.
وهكذا...
أَظَلُّ بين السَّيْرِ والوقوفْ
مطارداً،
وليس ثَمَّ من يقولُ: «تلكَ غرفةُ الضيوفْ!»

***

عرفتُ هذهِ الطُرُقْ،
عرفتُ في إنجيلها الشاراتِ والباراتِ
والمعارِكَ الخفيَّهْ،
عرفتُ خلفَ الأفقِ حارساً وبندقيَّهْ...
- «هيّا اتّكِئْ على الجدارْ
هنا الطريقُ المستقيمُ:
طَلْقةٌ واحدةٌ
تُوَثِّثُ المقهى، وتدعوكَ إلى مائدة القمارْ!»

**٤- انتظار**

أبحثُ في رأسيَ عن «غريبَهْ».
سبعون عاماً قد مَضَتْ
والساهرون واقفونَ في حقيبَهْ
يستهلكون الأرصفهْ،
يقتسمون الأرغفهْ،
ويُغلقون في خِتامِ كلِّ عامْ

إضبارةٌ مليئةْ؛
ويفتحون في ابتداءِ كلِّ عامْ
إضبارةٌ بريئةْ!

***

سبعونَ أخرى قد تمرُّ دون أن تُشرَّفَ «الغريبَةْ»؛
وقد تمرُّ إثْرَها سبعونَ في أعقابها سبعونْ،
والساهرونَ يُغلقون ثُمَّ يفتحونْ
حتّى تفيضَ في السراديبِ الأضابيرُ
ويعلوها الغبارْ؛
يُفَصّلونَ من نِعالِ الليلِ والنهارْ
مائدةً خضراءْ،
ويجهلون كيف يلعبونَ بالوَرَقْ.

***

رأسي ينوءُ بالحشودِ والرفوفِ والدُّخانْ
رأسي على طَبَقْ
يعلّم الزمانْ أن يصيرَ مرقصاً،
وحانةً،
وبهلوانْ!

**٥- عاصفة**

عاصفةٌ تأتيكَ وحدَها.
عاصفةٌ وحيدةٌ في عالمٍ وحيدْ
عاصفةٌ تَشُنُّ إرهاباً بجوفِ الجمجمَةْ،
وتلبسُ الزِّيَّ الذي فَصَّلَهُ الظلام من حقائب البريدْ.
عاصفةٌ تدورُ كالمنشار، ثمَّ ترتخي
تدورُ مرّةً أخرى، تدورُ ثمَّ ترتخي
وأنتَ عند قبر أُمِّكَ التي لم تدرِ كيفَ ضاعَ رأسُها:
لعلّهُ الآنَ يطير في ذيول العاصفةْ،
لعلّه ينام تحتَ ثوبك المزَّقْ
لعلّه يحرقُ شَعْرَهُ الأثيثَ ثمَّ يَغْرَقْ...
لكنّما تأتيك وحدَها -
عاصفةٌ وحيدةٌ في عالمٍ وحيدْ
عاصفةٌ تحمل توقيعَ السكارى عند نَصفِ الليلْ
عاصفةٌ تلمُّ أجداثَ القبورِ في قُفطانها،
ترمي بها إلى كِلابِها المدرَّبَةْ.
تلك عظامُ أمِّكَ المعذَّبَةْ
تنفخُ فيها العاصفه...
عاصفةٌ وحيدةٌ في عالمٍ وحيدْ.

***

لا أمٌّ لا قَبْرَ، ولا شيهدْ
بل لحظةٌ منسيّةٌ تأتيك منها العاصفةْ
عاصفةٌ وحيدةٌ في عالمٍ وحيدْ!

**٦-** (... ... ...)

إن أنت خرجتَ فلا تدخلْ،
إن أنتَ دخلتَ فلا تخرجْ.
لكَ - إن أنتَ خرجتَ - إلهٌ من أوثانٍ حنيفَةْ؛
لك - إن أنت خرجتَ - أُسودٌ في ملعبِ روما.
في هذي اللحظةِ أو تلك اللحظة
وَقَفَتْ ترقُبكَ الأوجُه من كلِّ الأزمانْ:
وجهٌ يأْملُ أن يلقاك بباب أريدو،
وجهٌ ينتظرُ المطعمَ في حفلِ خِتانْ،
وجهٌ لا يدري كيف يُروِّضُ أنكيدو،
وجهٌ يركبُ درّاجتَهُ
ويظنُّ حبيبتَهُ تركبُ خَلْفَهْ...
وَقَفَتْ كلُّ الأوجهِ مُلْتَفَّهْ
تفصلها عنكَ مئاتُ الجُثثِ الملقاةِ
أمامَ دكاكين الورّاقينْ.
أنتَ ترى النَّهرَ على كَتِفِ الدلاّل تدلّى،
ويُبايع عصفوراً من سِفرِ التكوينْ.
قالتْ جاريةٌ مسبيَّةْ:
- «أخذوا طفلي، وبقيت على الدكّةِ مرميَّةْ
وحليبي سالَ على أفواه القِطَطِ الجوّالَةْ!»
إن أنتَ دخلتَ وإن أنتَ خَرَجْت
ستظلُّ الساعاتُ المحتالَةْ
ترقصُ عاريةً في الباصاتْ،
وتُوزِّعُ حلواها بين صِغارِ الأمواتْ.
في هذي اللحظة أو تلك اللحظة
إبَرُ الأعينِ مكتظَّة،
وفؤوس الضوء بِكَفِّ الحطّابْ.

***

لم يجدوا لكَ في المستشفى أيَّ سريرْ،
في المقهى أيَّ حصيرْ...
صدرَ الأمرُ بغلْقِ الأبوابْ

بغداد